جمهورية مصر العربية
جامعة الزقازيق
المعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم

مجلة
حضارات الشرق الأدنى القديم

دورية علمية محكمة

http://www.east.zu.edu.eg

الزقازيق

العدد الثانى – السنة الثانية– أكتوبر ٢٠١٦ م–الجزء الثانى

رقم الإيداع ١٨٤٣٥ - الترقيم الدولى (٥٣٣٥ - ٢٠٩٠)

مطابع جامعة الزقازيق

عدد خاص بأبحاث المؤتمر العلمي الدولي

حضارات الشرق الأدنى القديم ومؤثراتها عبر العصور

الذى أقيم خلال الفترة من ١٣–١٥ مارس ٢٠١٦

بالمعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم–جامعة الزقازيق

بالتعاون مع كلية التربية الأساسية جامعة بابل

الصناعة الطبية في مصر تقاليدها ورسومها

"قراءة في مخطوط "الذخائر والتحف في بير الصنائع والحرف"

أ.د. صباح إبراهيم الشيخلي

كلية الآداب، جامعة بغداد

الصناعة الطبية في مصر تقاليدها ورسومها
"قراءة في مخطوط "الذخائر والتحف في بير الصنائع والحرف"

ا.د. صباح إبراهيم الشيخلي
كلية الآداب، جامعة بغداد

توطئة:

عرف المصريون القدماء منذ القرن الخمسة والثلاثون التي سبقت الميلاد الصناعة الطبية والتي احتلت مكانة مرموقة عند حكامها ومجتمعها على السواء. ومن البرديات المصرية الخاصة بموضوع الطب نجد ما يؤكد على أن المصريين عرفوا الكثير عن أوليات الطب المهمة في التشخيص والعلاج، وعرفوا نظام الاختصاص في ممارسة مهنة الطب، واستعملوا الأدوية النباتية بالأخص في علاجات الأمراض، بل أن عملية التحنيط لموتاهم ما تزال صناعة طبية كيميائية تعد أعجوبة الدهر وسراً من أسراره الخالدة.(١)

استمر المصريون عبر الزمن الاهتمام بالصناعة الطبية، تطبيباً وتدريساً وكتابة وأننا لنجد أسماء أطبائهم البارزين في بطون كتبنا التراثية المهتمة بالكتابة عن الطب ورجالاته.(٢)

وفي بحثي هذا عزمت، بعد الاتكال على الله، أن أوجه اهتمامي إلى رسوم وتقاليد أهل صناعة الطب، وذلك من خلال مخطوطة "الذخائر والتحف في بير الصنائع والحرف"، والتي عثرت عليها في أحدى المكتبات الألمانية، وهي نسخة فريدة تتكون من ١٨٤ ورقة بحجم متوسط تحوي الصفحة منها على ١٩ سطر، مكتوبة بخط واضح، تكثر فيها المصطلحات والألفاظ الدارجة في البيئة التي عاش بها المؤلف (مصر)، ونجد فيها أيضاً الفاظاً غير عربية (تركية) أحياناً.

أولاً- التعريف بمؤلف مخطوطه "الذخائر والتحف" وموارده ومنهجه:

---

(١) كمال السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، (بيروت، دار النضال، ١٩٨٩)، ص٣٣-٣٩.

(٢) ينظر للتفاصيل: القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف (ت: ٦٤٦هـ/ م)، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: إبراهيم شمس (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥)، ؛ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي (ت٦٦٨هـ/١٢٨٢م)، (بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٥).

١-التعريف بالمؤلف:

لا نجد اسم مؤلف "الذخائر" مثبتاً فيها، لا في الصفحة الأولى ولا في الصفحة الأخيرة ولا حتى في صفحات متون المخطوطة، وكل الذي عثرنا عليه وفي آخر صفحة، في الخاتمة، اسم ناسخ المخطوطة ويدعى (عبد العزيز الجناني) وهو من أهل القرن ١١هـ/١٧م، حيث ثبت عبد العزيز تاريخ فراغه من نسخ مخطوطة "الذخائر" قائلاً:

"تم هذا الكتاب المبارك بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وكان الفراغ من نسخة هذا الكتاب المبارك على يد فقير العباد عبد العزيز الجناني... يوم الأحد المبارك ٧ شهر ربيعي الآخر من شهور سنة ١١٠٥ والله أعلم"؟[١]

أما عن المؤلف المجهول لكتاب "الذخائر" فنستطيع القول من نص سجله في المخطوطة أنه بعد القرن العاشر "سوف يرقي الجهال رتبة الشيخ (شيخ الأطباء)"[٢] فلذا نزعم أن هذا المؤلف المجهول هو من أهل القرن ١٠هـ/١٦م. وهو طبيب يحمل رتبة شيخ الأطباء وولاية الطب في مصر[٣] أن هذه الرتبة التي كان عليها مؤلف "الذخائر" تسمح لنا بالقول أنه من العارفين بميدان الطب وممن وصل إلى أعلى مراتبها العلمية، فجاءت كتابته، كما نذهب، ذات قيمة وخصوصية عن أهل صناعة الطب.

٢- محتويات المخطوطة:

يتصدر المخطوطة شجرة لأولياء أهل المهن والحرف، ثم قوائم عن الأبياء (الأولياء) الأصول والفروع، وتأكيداً من قبل مؤلف المخطوطة على ضرورة معرفة أهل الصنايع لها.

بدأً من الصفحات الأولى من كتاب "الذخائر" نجد أن مؤلف يوجه اهتمامه إلى موضوع الإجازة في الطب، وأهمية الحصول عليها لممارسة المهنة ومراحل الحصول عليها.

---

[١] الذخائر والتحف في بير الصنايع والحرف، نسخة شخصية مصورة عن مخطوطة مكتبة غوتا، ورقة ١٨٤ ب.

[٢] المصدر نفسه، ورقة ٨٧ ب.

ذهب أحد الباحثين البريطانيين، الذي استخدم مخطوطة "الذخائر" في أحد مؤلفاته إلى القول ان مؤلف هذا المخطوط من أهل القرن ١١هـ/١٧م، ولم ينتبه ان هذا التاريخ هو تاريخ نسخ المخطوطة من قبل ناسخها الجناني كما مثبت في آخر صفحة من الذخائر. ينظر:

Gabriel Baer, Fellah an Townsman in Middle East, (London, 1982), p. 19.

[٣] مؤلف مجهول، الذخائر والتحف، ورقة ٧٠ ب، ٢٧٣.

كما نجد اهتماماً كبيراً بموضوعي "العهد" و"الشد" الذي يعدهما من ضروريات الانخراط في سلك مهنة الطب. ويطل الحديث عنهما، فهو يثبت الواجبات التي يجب ان يقوم بها طالب في العهد والشد، كما يثبت المراسيم والشعائر المتبعة فيهما وبشكل مفصل.

ويوجه مؤلف "الذخائر" اهتمامه بالكتاب عن شيخ الأطباء متكلماً عن صفاته وواجباته، كما يوجه عناية خاصة للنقيب موضحاً شروط وصول الطبيب إلى هذه الرتبة، والمهام التي يقوم بها وخدمته لأهل صناعة الطب.

وفي كتاب "الذخائر" تفصيلاً لمراسيم وطقوس حفل الشد وما يجري فيه، نجدها فريدة من نوعها لم يسجلها أحد من المهتمين بالكتابة عن الطب والأطباء من تراثيينا.

ومما نجده ضمن محتويات كتاب "الذخائر" شكوى مؤلفه شيخ الأطباء من دخول الجهلاء في الاشتغال بصناعة الطب، ويظهر حذره وخوفه من انحدار هذه الصنعة بعد أيامه، مؤكداً على أهل صناعة الطب الاهتمام بطلبها بالتعليم والتدريب بالشكل الصحيح وبالعناية بكل ما يتصل بمهنتهم من تقاليد ورسوم، لأنها، حسب رأيه، تزيد المشتغلين والعاملين فيها ارتباطاً وعناية.

٣- موارد كتاب "الذخائر":

يذهب مؤلف هذا الكتاب إلى أنه جهد وكد في البحث وطلب الكتب حتى هداه الله سبحانه وتعالى إلى الكلام الذي دونه[١] وقراءته المخطوطة تؤكد قول مؤلفها هذا.

فمؤلفنا، شيخ الأطباء بمصر، كان واسع الإطلاع وعميق البحث في تنظيمات أهل صناعة الطب، وأهل الصنايع عموماً. وتتضح سعة إطلاعه بإيراده معلومات تعود إلى القرن ٣هـ/٩م وربما قبل ذلك أيضاً. فهو يتحدث عما حدث بين الأطباء (وغيرهم من أهل الصنايع) أيام الحسن البصري وتدخل هذا العالم الجليل في أمورهم. وهنا لابد من الافتراض أن مؤلف الذخائر كان بين يديه مؤلف للحسن البصري من قضايا أهل الصنايع، أو مؤلف آخر ثبت فيه أخبار الحسن البصري مع أهل الصنايع.

وحسناً فعل شيخ الأطباء في مصر مؤلف كتاب "الذخائر" في ذكر أسماء بعض الكتب التي اعتمد عليها في تدوين كتابه، نذكر منها:

---

[١] مؤلف مجهول، الذخائر والتحف، ورقة ٩١م.

- كتاب "الدستور" لابن حيان المختور. ويبدو ان اعتماده على هذا الكتاب كان واضحاً وكبيراً، والسبب في ذلك، أن كتاب الدستور يحتوي على الكثير من المعلومات التي يحتاج مؤلف "الذخائر" تدوينها عن "العهد" و"الشد" وعن الشيخ والنقيب في صناعة الطب، وعن الجذور والأصول لأهل الصنايع، وحتى حكايات كثيرة تخص أهل الصنايع أيضاً. ولكن من المؤسف، أن صاحب "الذخائر" لم يعرفنا بابن حيان مؤلف كتاب "الدستور" ومتى دون كتابه.[١]
- كتاب "شرح الروضة، لأبي الشيخ العجان،[٢] ومرة أخرى لا يذكر شيئاً عن العجان، ولا عن مؤلفه أي معلومات.
- وكانت كتب علم الطريق (طريق أهل الحرف والمهن) مصادر مهمة لمؤلف "الذخائر" في تدوينه لكتابه، ولكنه لم يُسميها أو يسمي مؤلفيها.
- كما نجد في كتاب "الذخائر" كثيراً من الاقتباسات التي تنسب إلى مورد مجهول، على سبيل الذكر: قال ابن الواعظ، قال العارف،[٣] أو يسجل قال الراوي، قال الناظم[٤]. ولا ندري ماذا يقصد بهذه التسميات وهل هو الذي ثبتها أم الناسخ وأراد ببعضها مؤلف الكتاب نفسه.
- كما ضم الكتاب معلومات كثيرة عن أحداث ومشكلات تخص ميدان الطب والمشتغلين فيه عاصرها مؤلف "الذخائر"، كما يود حكايات ومعلومات أخذها من معاصرين له من شيوخ ونقباء أطباء وغير أطباء، فعلى سبيل المثال:

"يقول الشيخ بمصر قبل ولايتنا"،[٥] و"حدثنا القاسم بن عبد الله الوارين النقيب بمصر"،[٦] و "قال الشيخ أحمد بن الديناري سمعت الشيخ أبو الحارث"[١] ومن دون تعريف بأصحاب المراتب الطبية هؤلاء.

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ٤٦ ب، ٢٥٧ ب

(٢) مؤلف مجهول، الذخائر والتحف، ورقة ٢٨٨.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٤٦ ب، ١٦٤ م.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ٢٧١، ٨٨ ب.

(٥) المصدر نفسه، ورقة ٧٣م.

(٦) المصدر نفسه، ورقة ٧٤م.

وهكذا تنوعت موارد تدوين مؤلف "الذخائر التحف" بين القديم والمعاصر، فجاءت معلوماته ذات أهمية وقيمة في موضوع تدوينها.

٤- منهج تدوين كتاب "الذخائر":

لم يكن لطبيبنا مؤلف "الذخائر" منهجية مضبوطة ودقيقة في تدوين معلومات كتابه، ويمكن توضيح ذلك كالآتي:

- المخطوطة خالية من مقدمة توضح الهدف من تدوين الكتاب، وأهمية الموضوعات التي تناولها، وأن كنا نجد بين ثنايا ورقاته إشارات إلى الهدف من تثبيت معلوماته، وهو تعريف ذوي المهن والحرف بها من أجل حفظها والعمل بموجبها، مؤكداً على أن معرفة ما دونه ضروري ولازم للمنخرطين في باب الصنايع.
- لم نجد ان صاحب "الذخائر" قد عَمل على وضع هيكلية لكتابه، ولذا فهو لم يثبت فهرساً للمحتويات، كما لم يثبت عناوين كبيرة وواضحة لمتن ما دونه في الأعم الأغلب، لأنه لم يقسم الكتاب إلى أبواب أو فصول، أو أقسام مرتبة وفق المنهج العلمي الذي اعتاد كتابنا التراثيون اعتماده.
- هناك تكرار وخلط واضح في الموضوعات التي بحث فيها مؤلف "الذخائر"، ولعل هذا يعود أنه لم يحاول ان يرسم خطة لكتابه، فلذا ضاعت وحدة الموضوع، وأخذ ينتقل من موضع معين إلى آخر، ثم يعود إلى الموضوع السابق، وقد تكون العودة إليه بعد صفحات عدة.
- يحتوي كتاب "الذخائر" على الكثير من القصص والأساطير، وضعت للترغيب والترهيب. فهناك تأكيد على أهل الصنايع بضرورة السير على سنة سلفهم الصالح والتمسك بأعرافهم وتقاليدهم ومراسيمهم. وثبت حكايات عن أطباء وشيوخ ونقباء صناعة الطب عاشوا في قرون سابقة أيام الحسن البصري وهارون الرشيد، كما قد يستشهد بحكايات تعود إلى عصره.
- يشعرنا مؤلف "الذخائر" بإيمانه بكرامات أولياء أهل الصنايع ومنهم أولياء صناعة الطب.
- الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، من أجل العبرة والعظة والتيمن.

---

(١) المصدر نفسه، ورقم ٢٩٨.

- يتضح من قراءة صفحات مخطوطة "الذخائر" التأثير الصوفي واضحاً جداً في تنظيمات ومراسيم وشعائر أهل الصنايع، كالجنيد البغدادي ومحي الدين بن عربي، فهو يذكر مثلاً عن الجنيد: أنه من كبار أهل الطريق والصناعة كان مرهمدانه (وعاءه الطبي) من الفخار.[١]

ثانياً- تقاليد صناعة الطب:

١- الأولياء:

أكد مؤلف مخطوطة "الذخائر" على أن كل صنعة (مهنة أو حرفة) لها جذور وأصول وفروع[٢]، وهؤلاء هم أولياء أهل الصنايع. فقد جرت العادة بينهم ان تنسب كل صنعة إلى شخص ما، يكون عادة أما نبياً أو ملكاً أو ولياً أو أحد الصالحين، ويعد الولي واضع هذه الصناعة ومبتكرها، فإذا لم يكن من الممكن رد أصل الصنعة إلى واضعها نسبت إلى آدم (عليه السلام).[٣]

ويؤكد مؤلف "الذخائر" على ضرورة معرفة أهل الصنائع لأوليائهم[٤] وبهذه المعرفة يحصل "الاطمئنان لطالبها وتزيد رغبته فيها" بل أنها تحلل الكسب على ما يبدو، وهكذا أصبح من تقاليد ورسوم أهل الصنايع أن يكون لكل صنعة ولياً[٥] وقسم أولياء الأصناف إلى مراتب، فالصناعة تنسب إلى "الفروع الصحابية ثم الأصول المصدرية، ثم إلى الجذور الأصيلة".[٦]

الجذور:

---

(١) مؤلف مجهول، الذخائر والتحف، ورقة ١٣٨ ب.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٢١٥.

(٣) السكتوراي، علاء الدين على وده مصطفى (ت١٠٠٧هـ/١٥٩٨م)، محاضرة الأوائل ومسايرة الأواخر، (القاهرة، المطبعة العامرة الشرقية، ١٣١١هـ)، ص١٩٥.

(٤) الذخائر والتحف، ورقة ٢٣م، ٢٨ ب.

(٥) السكتواري، محاصرة الأوائل، ص١٩٣، ١٩٤؛

Pallis, Alexander, In The of The Janissariesm (London, 1951), p. 123.

(٦) مؤلف مجهول، الذخائر والتحف، ورقة ٥٠م.

وهم الأنبياء والمرسلون عادة، ويعدد صاحب "الذخائر" سبعة منهم،[١] ويضيف ثامناً إلى هؤلاء هو النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي هو جذر لكل الحرف والصنايع لأنه خاتم النبيين[٢] ثم يذكر ان كل المهن والحرف وعددها ثلاث وسبعون تابعة لهؤلاء الجذور السبعة، ويشر إلى أنه أخذ هذه المعلومات عن الجذور مأخوذة من كتاب ابن حيان "الدستور"[٣] ونشير هنا، إلى أننا نجد معلومات عن هؤلاء الجذور في مصادرنا التراثية الأخرى تؤكد ما جاء في "الذخائر".[٤] ويضيف صاحب كتاب "الإعلان النفسية" ولياً أخر إلى الجذور السبعة، وهو النبي سليمان العارف بالأدوية والعقاقير[٥] وجعل مؤلف "الذخائر" نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) تاجراً ومجاهداً وجامعاً لكل أنواع الصناعات.[٦]

وهكذا يظهر أن كل صناعة تقريباً تنسب إلى نبي أو رسول من أجل إثبات أصالتها وإضفاء صفة القدسية عليها.

ب- الأبيار:

البير كلمة تركية تعني المقتدى به وبالفارسية تعني شيخ الشيوخ،[٧] والابيار هم رعاة أصحاب الصنايع[٨] وكانوا عادة من الصحابة والتابعين،[١] وهم أول من تعاطى الصنايع.[٢]

---

(١) مؤلف مجهول، الذخائر والتحف، ورقة ٢٤٨. وهم: ١-أدم للزراعة ٢- شعيب للحياكة وأنواع النسيج ٣-أدريس للخياطة ٤- نوح للتجارة ٥- إبراهيم الخليل للبنائين ٦-داود لصناعة المعادن ٧- عيسى بن مريم للصباغة.

(٢) مؤلف مجهول، الذخائر والتحف، ورقة ٥٢ م.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٨م.

(٤) ينظر: ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر (ت٢٩٠هـ/٩٠٣م)، الاعلاق النفيسة، باعتناء د يغويه (بريل، ليدن، ١٨٩١)، ص١٩١؛ الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري، (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م)، لطائف المعارف، تحقيق: إبراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي، (القاهرة، ١٩٦٠)، ص٦؛ الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، مطبعة المدني، ١٩٦٥)، ص٥٦؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: أ.م. كاترميرج، (بيروت، مكتبة لبان، ١٩٧٠)، ج٢، ص٢٧٧، ٣٢٦.

(٥) ابن رسته، ص١٩٩.

(٦) مؤلف مجهول، الذخائر والتحف، ورقة ٥٢ م.

(٧) السكتواري، محاضرة الأوائل، ص١٩٤، ابن المعمار، أبو عبد الله بن عبد الكريم الرخواني، كتاب الفتوة، تحقيق: مصطفى جواد وآخرون، (بغداد، ١٩٩٨)، ص٩٧؛ ش. سامي، قاموس تركي، (استنبول، ١٣٧١)، ص٣٦٥-٣٦٦.

(٨) Lewis, Bernard, The Islamic Gyids, Economic History Review, Vol,VII, No.1937, p. .29.

وينقسم الأبيار إلى أصول وفروع:[٣]

الأصول هم الصدور الذين أخذوا عن الإمام علي (رضي الله عنه)،[٤] وعددهم سبعة عشر، أولهم سليمان الفارسي وأخرهم المعجز القصار،[٥] وخامسهم كما سجل مؤلف "الذخائر" كان ذنون المصري بير الحكماء وناقل المرهمدان بير الأطباء.[٦]

أما الفروع، فهم الحماة الثانويون لأهل المهن والحرف، ونجد قائمتهم تحوي على ثلاث وأربعين أسماً موزعين على الأقاليم في مشرق الدولة الإسلامية ومغربها.[٧]

جاء اهتمام أهل الصنايع بمعرفة الأوائل الذين مارسوا مهنهم وحرفهم، من أجل الثبات أصالتها وللحصول على البركة في ممارستها. ولذا رسم صاحب مؤلف "الذخائر" شجرة ووصنع فيها أسماء أولياء أهل الصنايع في أول صفحة من كتابه. وهكذا كان من تقاليد ورسوم أهل الصنايع إرجاع كل صناعة إلى جذورها وأصولها الأولى، فوضعوا أشجاراً توضح ذلك وهي أشبه بأشجار الأنساب.

ثالثاً- مراحل الوصول والحصول على الإجازة في الطب ورسومها:

١- أهمية وضرورة الحصول على الإجازة:

نالت الإجازة في الطب اهتمام مؤلف "الذخائر"، وربما يعود ذلك لأنه كان شيخاً للأطباء. فمنذ البدء يؤكد على أهمية الإجازة في ممارسة صناعة الطب بقوله: "من أراد أن يكون عاملاً

---

(١) المؤلف مجهول، الذخائر والتحف، ورقة ٥ ب.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٦ ب.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٦ أ ب، ٢٧ ب.

(٤) المصدر نفسه، ورقة أ٦ ب- ٧ أ ب.

(٥) المصدر نفسه، الورقات ٧ ب- ١٣ أ ب.

(٦) المصدر نفسه، ورقة ٣ أ.

(٧) المصدر نفسه، ورقة ٣ ب- ٤ أ.

يتعاطى الأبدان لا يعاهد أحداً إلا بعد الإجازة من كبير (أستاذ) أو من غير كبير يكون عارفاً وأخذ منه الإجازة بعهد وشد".[١]

ويشير صاحب "الذخائر" إلى ضرورة الإجازة، فعلماء الدين لا يمكنهم الافتاء ألا بإجازة[٢]، ومن هنا كانت ضرورة الحصول على الإجازة لم يفتِ في الطب، في هذا قائلا: "فأعلم أن المعلم العامل يدخل على المرضى ويفتي بعد ذلك بتدبير العلاج، وهي فتوى عظيمة تفتقر إليها العلما (العلماء) والحكام إلى فتوى الطبيب في صناعته وعلمه بقوله هذا يصح وهذا لا يصح..." [٣]

ثم يقدم التعليل العلمي لقوله بضرورة الإجازة لمن يمارس صناعة الطب قائلاً: "ولما كان أمر الصناعة أنها علم كان يطلب فيها الإجازة ومن قال خلاف ذلك أخطأ وتعدى، وإذا أهمل ذلك الشيخ أنظر في عاقبته تراها أسوأ العواقب لتركه واباحته من ليس فيه أهلية على أرواح العوالم وعلى أعراضهم".[٤]

وهكذا فالإجازة تمنح الطبيب الأهلية في ممارسة مهنته وما دام ما يمارسه علم فأنه معاقبة الشيخ الذي يهمل الإجازة ضروري، لأن الطبيب مؤتمن على أرواح الناس. كما نجد أن الطبيب المجاز يكون مضموناً يقف معه مشايخه لأن فيه الأهلية والعكس صحيح.

ويورد لنا مؤلف "الذخائر" ما يؤكد ضرورة وأهمية الإجازة لأنها تدل على العلم بالصنعة المهتم بها الشخص، وأنه بالإجازة يستطيع أن يربي ويعلم الطلبة مهنته، وكانوا لا يسألون الشخص عن علمه إذا كان حاملاً الإجازة التي هي منتهى العلم.[٥]

وأصله الإجازة، كما ورد في كتاب "الذخائر" أنها منحت من الإمام علي (عليه السلام) إلى الفروع (الحماة الثانويون لأهل الصنايع كما أسلفنا)، وخلف الإمام علي سلمان الفارسي، فعندما طلبت الإجازة من الإمام قال: "خذوها من سلمان لأنه باقٍ على خلافته فأخذوا عنه الإجازة".[١]

---

[١] مؤلف مجهول، الذخائر والتحف، ورقة ٤أ.

[٢] المصدر نفسه، ورقة ٤ أ.

[٣] المصدر نفسه، ورقة ٤ أ ب، ٥ أ.

[٤] المصدر نفسه، ورقة ٣ أ ب.

[٥] مؤلف مجهول، الذخائر والتحف، ورقة ٤ أ.

٢- مراحل الوصول إلى الإجازة:

عرفت الإجازة في "الذخائر" بأنها موادعة بشهادة الشيخ وأمضاء القاضي"[٢] والإجازة على أنواع منها الإجازة التي يصبح فيها الطالب أستاذاً (معلماً) في صنعته، وإجازة ينال فيها الطبيب رتبة الشيخ في صناعة الطب، وهي رتبة تخصصية على ما يبدو. ومعلم صناعة الطب لا يستطيع منح الإجازة إلا إذا كان مجازاً.[٣]

والطريق للوصول إلى الإجازة ليصبح الطالب أستاذاً في صنعته يكون عادة باختيار أربعة مراحل ويسميها مؤلف الذخائر (أبواب) ينتهي بها الطالب إلى غايته، وهي:

- المرحلة الأولى:

وهي الباب الأول، حيث يدخل الطالب إلى ميدان الطب باختياره أستاذاً (كبيراً) يعلمه أسرار الصنعة[٤] بعد هذا الاختبار وقراءة الفاتحة يسأل الطالب إذا كان مرتبطاً بأستاذ آخر أم لا، ولا يتم الاتفاق بين الطالب وأستاذه إلا بحضور شيخ ونقيب صناعة الطب، فإذا تبين عدم ارتباطه قرأت الفاتحة وتم التحاقه بميدان العمل الطبي بعهد.[٥]

الباب الثاني، وفيها على الطالب أن يجتهد ويتعب في تعلم صنعته. كما أن على الطالب احترام أستاذه، ومن مظاهر الاحترام أن يمشي خلفه وأن يقضي حاجات أستاذه.[٦]

الباب الثالث: يستمر الطالب لصناعة الطب في اجتهاده لإتقان صنعته، والإتقان أمر ضروري قبل ممارسة المهنة[٧] وفيها يصبح الطالب بمرتبة (صانع) في مهنته.

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ٥ أ.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٥ ب.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٦٣ ب.

(٤) مؤلف مجهول، الذخائر والتحف، ورقة ٤٤ ب.

(٥) المصدر نفسه، ورقة ١٣٤ أ ب.

(٦) عن اتقان المهنة ينظر: أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القريشي (ت: ٣٥٦هـ/٩٦٧م)، ج٢، ص٢٢٤؛ العقباني، أبو عبد أسد محمد بن أحمد التلمساني (ت:٨٧١هـ/١٤٦٦م)، ص٨٤.

(٧) مؤلف مجهول، الذخائر والتحف، ورقة ٤٤ ب، ٤٥ أ.

الباب الرابع، فهو باب الإجازة والأذن بممارسة الصنعة فبعد أن يكمل الطالب إتقانه بالتعليم والتدريب لصنعة الطب، يعرض نفسه على خبراء لمعرفة مدى اتقانه لصنعته، فإذا ما قرر هؤلاء الخبراء أهليته لممارسة صنعة الطب، يذهب إلى شيخ ونقيب الأطباء ويقنعهما بأنه قادر على ممارسة مهنته، وبعد الاقتناع بقدرات المرشح لممارسة الطب وحصوله على الموافقة، يطلب الشيخ حضور أستاذه للتحدث معه.

تجري محادثة طويلة بين شيخ الأطباء وأستاذ المرشح لنيل إجازة الطب، ثم يسأل الشيخ طالب الإجازة عن علمه بصناعته وعن ممارسته العملية لها، حتى إذا رأى اكتمال معرفته، يسأل أستاذه قائلاً: "إن كنت راضياً عنه أطلب الواجب منه". وبعد معرفة رأي الأستاذ في طالبه، يطلب الشيخ معرفة رضا جدّ المتقدم للانخراط في صناعة الطب، ويعلل صاحب "الذخائر" ضرورة أخذ هذا الرضا، لأن الجدّ سيكون حاضراً في حفل مراسيم منح الإجازة لطالبها.[١]

ولأهمية ما جاء من تفاصيل عن مراسيم حفل منح الإجازة في كتاب "الذخائر" نستعرضها كأنموذج لرسوم وطقوس منح الإجازة الطبية كما دونها شيخ الأطباء المصري مؤلف الكتاب.

٣- رسوم الحصول على الإجازة في صناعة الطب:

من أجل الحصول على الإجازة، لابد لطالب الطب، وكغيره من أهل الصنايع، من "عهد وشد" قبل منحها، لأن الإجازة "آخر المنتهى إلى الطالب".[٢]

٤- العهد:

يذهب مؤلف "الذخائر" إلى "أن العهد يختبره [الطالب] في سيرته وتعلمه وخدمته وأدبه وفهمه أن كان يليق بالعلم أو لا يليق"، ويراد بذلك معرفة لياقة الطالب بصناعة الطب وقدراته فيها ولتميزه عن غيره ممن لا يحمل هذه اللياقة والقدرة، وإذا ثبت عدم كفاءته فيحاسب أستاذه على الاختيار الخاطئ للمرشح لنيل الإجازة.[٣]

---

(١) مؤلف مجهول، الذخائر والتحف، ورقة ٦٣ ب، ٦٤ أ.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ١٠٢أ.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ١٠٢ أ.

فالحصول على العهد إذن مفروض وعلى الطالب والأستاذ إثبات شروطه التي تقضي إظهار قابليات الطالب العلمية والأخلاقية، التي تعلمها وأتقنها بإشراف أستاذه، وأن على الأخير متى وجد من طالبه القدرة والقابلية على ممارسة صناعة الطب وافق على منحه الإجازة والعكس صحيح.

بعد رضا الأستاذ عن طالبه وموافقة جد الطالب أيضاً، يتفق المرشح لأخذ الإجازة مع نقيب الصنعة على تحديد يوم للقيام بعملية الشد بحفل يحضره شيخ الصناعة الطبية.

ب- الشد:[١]

يعد الشد من شروط منح الإجازة، وله مراسيم يجب عملها، فإذا ما حل يوم الشد، فأن على الطالب الراغب من الانتماء إلى سلك صنعة الطب أن يقيم وليمة يدعو إليها أبناء تلك الصنعة.[٢] وإقامة الوليمة واجبة، ولا يجوز أن يجتمع أكثر من واحد في وليمة واحدة[٣] وإذا كان الطالب غير قادر على إقامة الوليمة، فأن نقيب صناعة الطب يقوم بمساعدته في إقامتها.[٤]

وتكون الوليمة وعملية الشدّ في يوم الجمعة عادة، حيث يقف نقيب الأطباء لاستقبال المدعوين، وبعد انتهاء الوليمة وقراءة الفاتحة تبدأ علمية الشدّ والتي يقوم بها نقيب الصناعة.

والشدّ هو أهم شعيرة في الحفل الذي يقام لقبول الطالب في سلك أهل مهنة الطب، ويذهب ماسنيون إلى أن حفل الانتماء إلى سلك المهنة كان موجوداً منذ القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي على الأقل، وأن أصل شعيرة الشدّ يرجع إلى تاريخ أقدم من ذلك بكثير[٥] وهذا ما يؤكده مؤلف "الذخائر" الذي أرجع الشد إلى الأنبياء في أصوله[٦] وهو تفويض من الابيار أصحاب الأصول.[٧]

---

(١) مؤلف مجهول، الذخائر والتحف، ورقة ٦٣أ، ٦٤ أ ب.

(٢) ينظر عن الشد: لويس ماسنيون "الشد" دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: أبو ريدة، (القاهرة، ١٩٣٣)، ج١٣، ص١٧٩-١٨١.

(٣) مؤلف مجهول، الذخائر والتحف، ورقة ٦٤ ب.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ١٠٩ ب.

(٥) المصدر نفسه، ورقة ٢٦ أ.

(٦) المصدر نفسه، ماسينون "الشد"، دائرة المعارف الإسلامية، ج١٣، ص١٧٩.

(٧) مؤلف مجهول، الذخائر والتحف، ورقة ٤٨ أ، ٤٩ أ.

يحضر حفل الشد شيوخ أهل الصنايع وأولهم شيخ صناعة الطب، ونقيبها والعاملين في هذه الصناعة.[١]

وهناك مجموعة من المراسيم والطقوس في حفل الشد سجلها مؤلف "الذخائر" نوضحها كالآتي:

- يبدأ نقيب صناعة الطب بمراسيم الشدّ بترتيب المشدود وشيخه (الطالب وأستاذه) وقراءة سورة الفاتحة وذكر العهد والوصايا واليمن بالله العظيم. مع قراءة مواعظ وآيات من القرآن الكريم وأحاديث نبوية.[٢]
- يتولى النقيب شدّ العقد، ويكون شدّ المرشح لأخذ إجازة الطب بحزام أو بفوطة حول رأسه أو حول كتفه، ويكون الحزام أو الفوطة عادة من الحرير أو الصوف.[٣]
- يلقي النقيب الحزام في وسط المرشح ثم يبدأ بالصلاة على الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) والاستغفار إلى الله العلي العظيم.[٤]

أما العقد التي يشدّها النقيب فالمتعارف عليه أنها أربعة، ولكل عقدة شروط[٥] وهي:

١- **العقدة الأولى:** هي العقد التي تُشدّ باسم كبير المشدود (أستاذه)، وعند عقدها تقرأ مقدمة تعريفية لأستاذ الطالب، وآيات من القرآن الكريم.[٦]
٢- القعدة الثانية: تعقد باسم جدّ الطالب، ويذكر النقيب كلام يدور حول التبرك بالجدّ، وتقرأ آيات من القرآن الكريم.[٧]
٣- العقدة الثالثة: تكون باسم ولي (بير) صناعة الطب، ويذكر النقيب كلام خاص بولي صناعة الطب (ذنون المصري) مع آيات من القرآن الكريم.[١]

---

(١) مؤلف مجهول، الذخائر والتحف، ورقة ٥٣ ب.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٦١ أ، ٦٤ ب.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٥٩ أ.

(٤) ينظر: ماسينون، "الشد"، ج١٣، ص١٨٠.

(٥) مؤلف مجهول، الذخائر والتحف، ورقة ١٤٤ ب.

(٦) المصدر نفسه، ورقة ١٤٥ أ.

(٧) المصدر نفسه، ورقة ١٥٢ ب.

٤- العقدة الرابعة: وهي عقد الإمام علي (عليه السلام) وهنا يتلو النقيب الكلام الخاص بالإمام، ثم تلاوة بعض الآيات. وبعد ذلك يقوم النقيب بشدّ عقدتين أخرتين للإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام)، ويقرأ الكلام الخاص بهما مع قراءة آيات من القرآن الكريم.[٢]

وبعد شدّ العقد الستة يبدأ النقيب بتلاوة دعوات مأثورات للمسلمين وولاة الإسلام وللعلماء.[٣]

وجرت العادة أن يدفع المشدود (الطالب) إلى النقيب الذي قام بعملية شدّ العقد وإلى شيخ الأطباء هديا (النقوط والرضا) وهي أموال وأكسية.[٤]

وهكذا نجد أن العهد والشدّ وما يتصل بهما من شروط ومراسيم وطقوس له أهميته في الحصول على الإجازة في الطب، وإذا ما اكتشف أن أحد الأشخاص يمارس صنعة الطب بدون عهد وشدّ، لا يعترف بإجازته.[٥]

والجدير بالإشارة أن الشدّ والعهد يشمل كل من يريد ممارسة صناعة الطب حتى إذا كان من اليهود أو النصارى. ويشد بنفس طريقة الطبيب المسلم.[٦]

وبعد إتمام عملية الشد يعطي النقيب الطالب الذي شده ورقة بخطه وختمه وفيها تاريخ اليوم الذي شدّ فيه والبيعة على ذلك.[٧]

بعد حصول الطالب على الشدّ، ومن قبله العهد، لابد من الحصول على الإجازة المؤيدة بشهادة شيخ صناعته وإمضاء القاضي.[٨]

---

(١) مؤلف مجهول، الذخائر والتحف، ورقة ١٥٢ ب، ١٥٣ أ.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ١٥٣ أ ب.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ١٥٣ ب.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ١٥٤ أ ب.

(٥) المصدر نفسه، ورقة ٢٢ أ

(٦) المصدر نفسه، ورقة ١١٤ أ.

(٧) المصدر نفسه، ورقة ١٥٨ ب، ١٦٠ أ ب.

(٨) مؤلف مجهول، الذخائر والتحف، ورقة ٢٥ أ.

ومن الجدير بالذكر أن مؤلف "الذخائر" يشكو وبمرارة من تغير الأحوال بتقادم الزمن، بحيث أصبح منح الإجازة فيه خلل كبير، فصارت تمنح من قبل أناس مرتشين ممن رغبوا في الحياة الدنيا، بل وصارت تمنح من قبل الحاكم الشرعي (القاضي)، وهذا ما أدى إلى الانخراط في مهنة الطب غير العارفين فيها[١] ولذا أكد مؤلف "الذخائر" على ضرورة التمسك والعمل بشروط الإجازة مثبتاً ما يأتي:

١- عدم تولي الحاكم الشرعي (القاضي) منح الإجازة.
٢- ان تتوفر في المرشح لنيل الإجازة شروطاً معينة وهي:
- العلم والمعرفة في صناعة الطب.
- يجب أن يكون المرشحون والمزكون لنيل الطالب المتقدم للحصول على الإجازة ممن عرفوا بالدين وحسن اليقين.
٣- ان يُجاز المرشح من قبل أستاذه وشيخ صناعته، وبحضور الحاكم الشرعي (القاضي)، وبذلك تكون الإجازة صحيحة.[٢]

وفي "الذخائر" تأكيد على استكمال شروط الإجازة للراغب في العمل بصناعة الطب، لأن عدم كفاءته وقدرته ستؤدي بحياة المريض فخطأه لا يمكن إصلاحه[٣] كما يشير إلى عدم جواز منح الوالد الطبيب الإجازة لولده حتى لو كان أستاذه الذي علمه، بل يجب أن يكون لطالب الطب أستاذاً غير والده، ويكون التأكد من هذا الأمر من قبل النقيب.[٤]

أن أي خلل في ممارسة صناعة الطب من المجازين فيها سيؤدي إلى حرمانهم من الإجازة التي منحت لهم[٥] ولذا فأن التعليم والتمرين بالعقل واليد والبصر وبإخلاص ضمان للطبيب في الاستمرار بحمل الإجازة الطبية وممارسة مهنته.[٦]

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ٥ أ، ٤٤ ب.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ١٦٣ ب، ١٦٤ أ.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ١٦٤ أ.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ١٦٤ ب.

(٥) مؤلف مجهول، الذخائر والتحف، الورقات ١٦٦- ١٦٩ أ ب.

(٦) المصدر نفسه، الورقات ١٣٦ أ ب- ١٤٠ أ.

وفي الختام نقول ان مؤلف كتاب "الذخائر والتحف" شيخ الأطباء في مصر، قد دون لنا معلومات تفصيلية وفريدة عن مراسيم وشعائر أهل الصنايع، مؤكداً على أهل صناعة الطب العمل بها لأنها تمثل أصول وأسس مهنتهم. وأن شيوخ ونقباء الطب في تراثنا لم يسمحوا لطالب هذه الصناعة بممارستها إلا بعد دراسة نظرية وعملية وتدريب وتمرين يوصله إلى "مرحلة الإجازة" في الطب، وان أستاذه وشيوخ صناعة الطب في مصر كانوا من ذوي التركيز والإصرار على ذلك كله.